Mansoura Engineering Journal, (MEJ), Vol. 27, No. 2, June 2002.

البيئة الصحراوية لمدينة الرياض وأثرها في تشكيل الفراغات الخارجية قديماً وحديثاً

The Influence of Desert Environment in Shaping Internal and External Spaces of Old and New Al-Riyadh

Dr. Ali Yahya Atwa
Chairman of Islamic Architecture Department
Assistant Professor of Environmental Architecture
College of Engineering and Islamic Architecture
Umm Al- Qura University

ملخص البحث :

ساهمت البيئة الصحراوية لمدينة الرياض وكذلك تعاليم الإسلام على توجيه حياة الناس إلى الداخل سواء في السكن أو في الحي أو في المدينة وذلك بهدف توفير عامل الحماية من العوامل المناخية وأيضاً توفير عامل الخصوصية ، الأمر الذي ساعد على تكتل تشكيلا ت المباني والتصاقها ببعضها وتحديد لعناصر الفراغات العامة بينها والتي تمثلت في الشوارع والحارات الضيقة وأحواش وساحات عامة محدودة المساحة .

ولقد ظل هذا الحال لفترات طويلة حتى حدثت بعض التطورات العمرانية الهائلة إضافة إلى متغيرات في أساليب ومواد البناء فتواجدت تبعاً لذلك فراغات خارجية جديدة ذات مقاييس مختلفة لتؤدي متطلبات تتناسب مع حاجات العصر ومستجداته .

والبحث المقدم يستعرض في دراسة تحليلية أشكال الفراغات العامة ضمن النسيج الحضاري لمدينة الرياض القديمة والمؤثرات والظروف التي أوجدت هذا النوع من الفراغات ثم دراسة بعض الفراغات الحديثة التي جاءت نتيجة للتطور العمراني الذي شهدته مدينة الرياض ، ثم يخلص البحث إلى بعض التوصيات الخاصة بتصميم الفراغات الخارجية في مثل هذه البيئة الصحراوية .

Accepted May 20, 2002.

Abstract:

Desert environment of Al-Riyadh City, together with Islamic instructions has contributed in directed social life internally. The concept of internal orientation can be found at residence, neighborhoods, and city scales and it aims to provide privacy and protection from the climatical factors. This type of planing strategy has produced a compact urban fabric as a result of a dense grouping of the buildings, which are usually build adjacent to each other. Also, certain types of public spaces have been developed by pass (i.e. narrow streets, haras, front yards and public areas).

The compact urban tissue has been one of the major characteristics of traditional architecture for long time before the advent of the recent building styles and materials that associated the huge development in building technology. As a result of this development, new external spaces have been developed to facilitate the demands of the new life style.

This paper is an analytical study for the different types of public spaces that composed the urban tissue for old Al-Ryiadh, factors that caused the formation of these spaces, and the new public spaces, which have been associated with the development of new Al-Ryadh. The paper summaries some recommendations and guidelines for public spaces design in desert environment.

مشكلة البحث وأهدافه :

كان للبيئة الصحراوية لمدينة الرياض أثرها الواضح في تشكيل الفراغات الخارجية في مدينة الرياض القديمة ، حيث جاءت هذه الفراغات لتعبر بوضوح عن البيئة الصحراوية شديدة الحرارة طوال العام ، كما أن هذه الفراغات جاءت أيضاً لتلبية متطلبات إجتماعية ودينية وإقتصادية ، وظلت الرياض على هيئتها القديمة كتلة متراصة من المباني يفصلها مجموعة من الطرقات التي تضيق وتتسع طبقاً للحاجة .

وظل الحال هكذا حتى كانت التطورات الحديثة والحاجة إلى مواكبة التطور في العمران فتغير النسيج العمراني للمدينة برمته وتغيرت تبعاً لذلك ساحات وميادين المدينة التقليدية القديمة ورغم أن هذه الساحات جاءت غالباً في نفس الأماكن القديمة إلا أنها جاءت في ثوب جديد ولكنها جاءت أيضاً تحمل كثير من سمات وملامح الماضي العريق .

ولهذا فإن الهدف من هذا البحث وهو توضيح كيف كان للبيئة الصحراوية أثرها في تشكيل الفراغات الخارجية في مدينة الرياض القديمة وكيف أصبحت هذه الفراغات بعد التطور العمراني الهائل الذي شهدته مدينة الرياض وكيف حافظت إلى حد كبير على هويتها وتوافقها مع البيئة الصحراوية التي تواجدت فيها رغم الاختلاف في المقياس وأساليب ومواد البناء .

منهجية البحث ومصادر المعلومات :

سنعتمد في هذا البحث على منهج تحليلي للتعرف على البيئة الصحراوية لمدينة الرياض ومدى تأثيرها في تكوين البيئة العمرانية ومن ثم التعرف على بعض الفراغات الخارجية القديمة فيها وكيف تم تشكيلها ، إضافة إلى تحليل بعض الفراغات الخارجية الحديثة والتي تم تطويرها . وتحديد مدى إستجابتها لظروف البيئة الصحراوية الموجودة ، أما مصادر المعلومات فسوف يتم الاعتماد على مجموعة المراجع والكتب والأبحاث التي تناولت هذا الموضوع .

الفرضية :

إن الالتزام بالمنهج العلمي في البحث يقتضي وضع الفرضيات العلمية إبتداءاً لأن الفرضيات هي التفسيرات المبدئية للظاهرة المدروسة .

أما الافتراض الأساسي في هذا البحث أن الفراغات الخارجية في مدينة الرياض القديمة قد تشكلت إستجابة لعدة عوامل كان أولها وأهمها هي البيئة الصحراوية المتميزة لمدينة الرياض إضافة إلى بعض العوامل الأخرى المتمثلة في الظروف الإجتماعية والإقتصادية ولكنه مع التطور

العمراني الهائل الذي شهدته مدينة الرياض خلال فترة وجيزة وإتساعها بصورة كبيرة جداً تطورت معه هذه الفراغات الخارجية بأسلوب جديد وبطريقة تتناسب مع ظروف العصر وتطلعات الإنسان المعاصر مع إستجابة كبيرة للظروف البيئية المحيطة ، إضافة إلى إستجابتها لقيم ومبادئ وتقاليد المجتمع السعودي .

ولهذا فإن مجال البحث سوف يقتصر على التعرف على البيئة الصحراوية لمدينة الرياض وكيف أنها ساهمت إلى حد كبير في تكوين هذه الفراغات ، وكيف أنه مع التطور الهائل الذي حدث لمدينة الرياض فإن هذه الفراغات نفسها قد تطورت تبعاً لذلك واستجابت لنفس الظروف ، وهذا ما سيحاول البحث إثباته من خلال عرضه لهذا الموضوع

المقدمة :

لقد ساهمت البيئة الصحراوية لمدينة الرياض في تشكيل الفراغات الخارجية بها بشكل واضح ، حيث فرضت درجة الحرارة المرتفعة جداً خلال فصول الصيف والتي تمتد لأكثر من ثمانية شهور إضافة إلى الجفاف والعواصف الرملية إلى وجود تجمعات سكنية محدودة في نسيج متضام Compact تقل في الشوارع والحارات والساحات بشكل واضح وكانت تتخلل هذه الكتلة مجموعة من الطرقات المتعرجة والملتوية والتي كانت تضيق وتتسع طبقاً للحاجة ، وكانت هذه الطرقات تتلاقى في ساحات متسعة نسبياً والتي كانت تمثل الفراغات الخارجية الوحيدة في المدينة .

ومع التطورات الهائلة التي شهدتها مدينة الرياض والتي لم يكن لها مثيل في المنطقة العربية على الإطلاق ، تطورت هذه الساحات إستجابة لمتطلبات الحياة الجيدة وفق مقتضيات العصر وتطلعات الإنسان المعاصر ، ولكنها في الوقت نفسه جاءت إستجابة إلى الظروف المحيطة في أغلب الأحوال .

والبحث المقدم سوف يتعرف على البيئة الصحراوية لمدينة الرياض وكيف ساهمت هذه البيئة في إيجاد شكل معين من الفراغات الخارجية التي جاءت إستجابة لهذه الظروف ، وكذلك التعرف على بعض الفراغات الحديثة التي جاءت في نفس موقعها في كثير من الأحيان لتوضيح كيف أنها جاءت أيضاً إستجابة لهذه المتطلبات .

تمهيد :

شكلت الساحات والفراغات الخارجية على مر العصور مكوناً أساسياً من مكونات المرافق العامة في المدن تقوم بدور مهم على المستوى الإجتماعي والتفاعل الإيجابي بين سكان المدينة ، بالإضافة إلى كونها مرفق تجاري وملتقى لتبادل السلع تخصص مع الأيام في الجوانب التراثية والثقافية كما تقوم بدور مهم وحيوي على مستوى النقل وإدارة الحركة عبر أرجاء المدينة .

فمنذ نشأة المدن اقترنت بها الساحة كمكون أساسي فيها حيث تأتي الساحة كنتيجة لطبيعة تنظيم المباني والتكوينات المحيطة بها إلى جانب الدور الوظيفي الذي تتمتع به المباني المطلة على فراغ الساحة ، فغالباً ما كانت الساحات في مراكز المدن تنتشر حولها المباني العامة كالأسواق والمساجد ودور القضاء وقصور الحكم والإدارة ، وتتحول الساحة تلقائياً كملتقى لسكان المدينة أو الحي نظراً لارتياد الناس للمباني المحيطة بالساحة ، وتتأكد تبعاً لذلك تواجدهم في الساحة ويتحقق بذلك صور الترابط الإجتماعي ومع مرور الوقت تأكد هذه الوظيفة وتتحدد تبعاً لذلك معالم الساحة مكانياً ووظيفياً وتصبح معالمها أكثر وضوحاً .

والساحة لها مرادفات كثيرة فهي الباحة والبرحة والميدان وهي في كل حالة الفراغ الذي ليس عليه أي بناء ، وبطريقة أخرى هو الفراغ المحدد المعالم الذي يقع بين المنشآت والمباني وتؤدي فيه الوظائف المختلفة حيث تتعدد الوظائف التي تقوم بها الساحات فقد تختص الساحة بوظيفة معينة بحسب طبيعة تكوينها أو بحسب التنظيمات التي تحدد إستعمالها .

وفي الماضي أدت الساحات أدواراً مختلفة كان أنشطها النشاطات الإجتماعية والثقافية والدينية حيث كانت الساحة هي الحاضنة للتفاعلات الإجتماعية بين السكان .

كما كان للساحات دور هام في النشاط التجاري فغالباً ما كانت تحاط بالأسواق إضافة إلى أن فراغها كان سوقاً تزدهر فيه حركة البيع والشراء وتبادل السلع .

أما الوظيفة الثالثة فقد كانت متمثلة في الجانب التنظيمي للحركة عبر أرجاء المدنية حيث كانت تشكل الساحات غالباً عقد مواصلات تنتهي إليها الشوارع الرئيسية والتي فيها تنطلق المحاور الرئيسية للحركة في المدينة .

ولكن مع تطور الحياة تضاءلت القيمة الوظيفية للساحات في المدن إضافة إلى المكانة العمرانية لها بشكل واضح ، حتى خلت الأحياء في كثير من الأحيان من الساحات والميادين العامة وقد جاء هذا التغير في مكانة الساحة نتيجة لبعض الأسباب كان من أبرزها ظهور السيارة مع تطور وسائل النقل الأخرى داخل المدن فصممت الشوارع لخدمة السيارات والفراغات لإيقافها دون الإهتمام بحركة المشاة ، وما يتبع ذلك من توفير بيئة آمنة مشجعة على المشي ، كما كان للنمو الإقتصادي سريع الخطى والذي عم المدن دوره في تغيير نمط الحياة التي كان أبرزها ضعف الروابط الإجتماعية وضياع التعارف الإجتماعي بين السكان ، الذي كانت الساحات هي محضنه الطبيعي وتنامت تبعاً لذلك مظاهر العزلة بين سكان المدينة وأدت هذه الظروف والأوضاع إلى غياب الساحة كعنصر حيوي يخدم المدينة وساكنيها .

إلا أنه في بعض المدن والتي ما زالت الروابط الإجتماعية تلعب دوراً في حياة السكان للقضاء ، كل الظواهر السلبية والضغوط النفسية التي أفرزتها الحياة الحديثة ، كان ما زال للساحة دورها الكبير في حياة الناس وأصبحت جزءاً رئيسياً في منظومة المرافق الثقافية والتراثية والإجتماعية لهذه المدن ، وتأتي مدينة الرياض واحدة من هذه المدن بتراثها القديم وحضارتها التي تضرب في عمق التاريخ وقد وجدت أن الساحات التي شكلت طبيعة حياة الناس وعلاقاتهم في الماضي لا يمكن أن نتجاهل أو تضيع وسط هذه الموجات المتلاحقة من التغريب ومحاولة تخطي الماضي وتجاهله فكانت الجهود المتتابعة لإستعادة رحيق الماضي وعبق التاريخ لتعود للمدينة أصالتها وعراقتها فأصبحت الساحة جزءاً رئيسياً من منظومة المرافق الثقافية والتراثية والإجتماعية لتلك المدينة العريقة ، فأصبحت ساحات مقر الحكم (العدل والصفاة) نموذجاً فريداً وتميزاً للجمع بين المتطلبات التراثية وإحتياجات المنطقة السكانية وإعادة إحياء القيمة الإجتماعية والرمزية لوسط مدينة الرياض وهذا ما سوف يتطرق إليه البحث من خلال إستعراض التطور العمراني للساحات القديمة في مدينة الرياض وإعادتها ولكن بوجه حضاري جديد ليعود إلى المدينة تراثها وأصالتها بصورة عصرية تحمل من الماضي أصالته وعراقته ومن الحاضر تقدمه وحداثته .

<u>الظروف المناخية لمدينة الرياض ودورها في تشكيل الفراغات الخارجية :</u>

تشكل المنطقة الوسطى الهضبة المرتفعة في أواسط شبه الجزيرة العربية والمعروفة بهضبة نجد ، وهي أقليم صحراوي شديد الحرارة والجفاف ويكثر به العواصف الرملية خلال فصل الصيف الذي يمتد لحوالي ثمانية شهور فى السنة ، ونتيجة لهذه الظروف فقد نشأت قديماً تجمعات سكنية محدودة وفي الأماكن التي يتوفر فيها آبار المياه ، وظهرت بها عمارة متميزة هي مثال للعمارة الصحراوية المبنية بالطين وهي إنعكاس طبيعي لمادة البناء المتوفرة والظروف المناخية السائدة ، كما أنها جاءت متوافقة مع متطلبات السكان الإجتماعية والدينية والإقتصادية .

والنمط العمراني للتجمعات السكانية لمنطقة نجد (الرياض) جاء في تجمع المباني في دور أو دورين في تكوين متضام Compact تقل فيـــه الشوارع والحارات والساحـــات بشكـــل واضح (شكل ١) .

كما أن عروض الشوارع جاءت ضيقة والمباني ذات فناء داخلي سماوي تحيط به حجرات المنزل وتفتح نوافذها عليه ، كما أن الساحات جاءت إلى حد كبير صغيرة نسبياً لمواجهة الظروف الطبيعية وإرتفاع درجات الحرارة طوال العام تقريباً .

البيئة العمرانية لمدينة الرياض :

تعتبر البيئة العمرانية التقليدية لمدينة الرياض متميزة في تكوينها مما جعلها توفر بيئة صالحة وآمنة لسكانها عبر فترات طويلة تضرب في عمق التاريخ حيث تظهر البيئة العمرانية للمدينة القديمة على شكل كتله متراصة من المباني يحيط بها سور من جميع الجهات يفصل هذه الكتلة مجموعة من الطرقات التي تضيق وتتسع طبقاً للحاجة ولكنها تحدد إتجاه السير نحو مركز المدينة وتتلاقى الطرقات الرئيسية منها في ساحة كبيرة تعرف بساحة الصفاة التي تقسم المدينة إلى مجموعة من الأحياء السكنية (شكل ٢) .

ويتميز هذا النمط الفريد بنمطه الإشعاعي الذي يعتبر أسلوباً مثالياً لحركة الناس والذي يقودهم غالباً إلى النقطة المركزية التي تتجمع فيها معظم النشاطات الدينية والتجارية والإدارية .

وتعد البيئة العمرانية التي جاءت في شكل كتلة متراصة من المباني المتلاصقة مع بعضها البعض بتميز واضح من حيث نسب الفراغات المفتوحة والكتل المصمتة وعروض الشوارع وتعرجاتها الطبيعية والأفنية الداخلية لمنازلها (شكل ٣) والتي تأتي جميعها لتكون بيئة عمرانية ملائمة لحياة الناس وتحركاتهم وممارساتهم للنشاطات المختلفة .

هذا وتحدد الطرقات شكل النمط العمراني وذلك بالصورة التي تأتي عليها من حيث إستقامتها أو تعرجها وكذلك من حيث سعتها أو ضيقها ، كما أن الشوارع تقسم الكتلة العمرانية إلى كتل من المباني تتكون فيها مجموعات المنازل المتراصة والمتلاصقة التي تتخللها مواقع المساجد ، هذا وتحصر كتل المباني المصمتة فراغات مفتوحة هي الأفنية الداخلية للمنازل التي يتحدد حجمها حسب حجم المنزل وأهميته .

الفراغات الخارجية والساحات العامة :

كما سبق وأن ذكرنا أنه كان لتراص المباني وتواجدها على صورة كتل عمرانية تفصلها الطرق سبباً في تواجد نظام فريد ومتميز في تكوينه ، والذي جاء إستجابة للظروف الطبيعية المتمثلة في المناخ الصحراوي شديد الحرارة صيفاً والبرودة شتاءً إضافة إلى النواحي الإجتماعية المتمثلة في العادات والتقاليد للمجتمع السعودي المسلم .

وبنظرة إلى الكتلة العمرانية القديمة لمدينة الرياض نجد أن هناك ثلاثة فراغات رئيسية تشكل هذه الفراغات الساحات العامة التي يستخدمها الناس ، وتشكل هذه الساحات الفراغات الرئيسية في المدينة القديمة وهي ساحة الصفاة والسوق (الحراج) والمقيبرة ، وتبلغ مساحات هذه

الساحات بالترتيب ٤٠٠٠ م٢ ، ١٦٠٠ م٢ ، ٤٥٠٠ م٢ وهي مساحات صغيرة نسبياً مقارنة بالساحات في المدن الحديثة إلا أنها كانت تستوعب نشاطات السكان الإجتماعية والدينية والتجارية .

وفيما يلي عرض لبعض هذه الساحات :

ساحة الصفاة : تعتبر ساحة الصفاة أهم الساحات الخارجية في مدينة الرياض القديمة ، وقد أكتسبت هذه الساحة أهميتها من موقعها المركزي إضافة للعناصر الهامة التي تحيط بها مثل السوق الرئيسي والقصر وبعض المباني الهامة ، وقد كان إستخدام الصفاة قديماً مناخاً لجمال الضيوف ومجلباً للغنم والجمال والحطب ، كما كانت تقام بها العرضات في المناسبات والأعياد ، إضافة إلى إستخدامها كمكان لتنفيذ الأحكام (شكل ٤) ، كما كان لساحة الصفاة دور حيوي في المجال التجاري كملتقى للتجار والباعة ، وشكلت الشوارع المؤدية إليها أسواق مدينة الرياض حيث أنتشرت حولها أكثر من خمسة أسواق ظل بعضها مستمراً إلى سنوات قليلة مضت ، وكان للساحة دور مهم أيضاً في إدارة الحركة والنقل عبر المدينة بسبب موقعها المتوسط تقريباً ووجودها بين أشهر المرافق والمباني في المدينة وإرتباطها بجميع الشوارع الرئيسية في المدينة التي كانت تؤدي إليها من جهة ومن جهة أخرى إحدى بوابات المدينة القديمة الثماني .

كما كان لساحة الصفاة دور في المجال السياسي حيث كانت الساحة محطة للوفود القادمة على الملك عبد العزيز من خارج الرياض أو داخلها من سكان المدينة الذين كانوا ينتظرون قدومه أو خروجه من قصر الحكم ، وفي المجال الإجتماعي كانت ملتقى وموعداً لفئات متنوعة من طلبة العلم الذين يأمون الجامع الكبير أو المسافرين القادمين أو أهل المدينة الذين يقصدون الساحة لقضاء حوائجهم أو المرور عبرها إلى جانب ذلك كله وكانت الساحة مقراً للإحتفالات التي تقام فيها العرضة السعودية في المناسبات المختلفة وخاصة في الأعياد .

الأسواق :

يقع سوق الرياض القديم الذي يمثل أحد الساحات الرئيسية في المدينة القديمة في الشمال الغربي من قصر فيصل ويمتد شرقاً من الصفاة حتى جنوب الجامع الكبير .

ومن الأسواق الشهيرة في ذلك الوقت سوق الحريم الذي يقع تحت جدار القصر الغربي وهو خاص بالنساء يبعن فيه ويشترين ، ويرتاده الرجال لشراء ما يحتاجون إليه ، وعلى مقربه منه من الجهة الغربية يقع (المقصب) سوق الجزارين ، وفي غربه يقع مكان بيع الأعلاف والغنم ، ومن الأسواق الشهيرة أيضاً سوق الحبوب والتمر والفرش والخرازين .

وقد كان سوق الصفاة يموج بالحركة الدائمة (شكل ٥) وكانت المتاجر تبدأ من بداية إنحدار الصفاة بعد الجسر حيث يتفرع السوق إلى فرعين يضم الفرع الأيمن الدكاكين التي يباع فيها

السجاد في حين الفرع الأيسر يباع فيها الهيل والقهوة إلى غير ذلك من المتطلبات والحاجات اليومية للسكان .

الفراغات الحديثة :

جاء تطوير الفراغات الخارجية بمدينة الرياض ضمن عملية تطوير منطقة قصر الحكم وهو الجزء من وسط مدينة الرياض المحصور بين شارع الإمام تركي بن عبد الله شمالاً وشارع طارق بن زياد جنوباً وشارع الملك فيصل شرقاً وطريق الملك فهد غرباً .

وقد إنطلق برنامج تطوير هذه المنطقة من عدة إعتبارات أبرزها هو أهميتها التاريخية التي تضرب في عمق تاريخ المملكة ، فهي مقر الحكم منذ نشأة الدولة السعودية الثانية ، كما أنها المنطقة التي كانت تقوم على معظمها مدينة الرياض القديمة عندما استعادها الملك عبد العزيز (رحمه الله) كما أن هذه المنطقة كانت إلى جانب ذلك مهوى أفئدة طلبة العلم والدارسين حيث إحتضنت ولعقود طويلة حلقات العلم والدرس التي أتخذت من مساجدها رحاباً لها لتلقي دروس العلم والمعرفة .

إضافة إلى ذلك فقد لعبت هذه المنطقة دور المركز التجاري لمدينة الرياض لسنوات طويلة وما تزال حتى وقتنا هذا زاخرة بالحركة والنشاط رغم ما عانته من سواء حالة مبانيها ونقص المرافق المساندة وصعوبة الوصول إليها في الماضي .

بدأ العمل في تطوير منطقة قصر الحكم عام ١٣٩٦هـ وتم عام ١٣٩٩هـ إعداد التصاميم الخاصة بمباني الأمارة والأمانة والشرطة والتي بدأ في تنفيذها عام ١٤٠٣هـ وأنتهى عام ١٤٠٥هـ .

كما تم الانتهاء من المرحلة الثانية والتي تشتمل على جامع الإمام تركي بن عبد الله وقصر الحاكم وميدان العدل وساحة الصفاة وساحة الإمام محمد بن سعود وساحة المصمك وبوابة الثميري وبوابة دخنه وبرج الديرة .

وقد حرص في عملية التصميم على الحفاظ على النمط العمراني التقليدي وذلك بتأكيد العلاقة بين المباني والميادين والساحات العامة فيها ، فميدان العدل هو الميدان الرئيسي للمدينة تحيط به المباني الرئيسية مثل قصر الحكم وجامع الإمام تركي بن عبد الله وتتصل بهذا الميدان ساحة المصمك من جهة الشرق وساحة الصفاة ثم ساحة الإمام محمد بن سعود من جهة الغرب ، وتحيط بميدان العدل والساحات المذكورة أنشطة مكتبية وتجارية مثل المباني الإدارية التي تطل على ميدان العدل من جهة الشمال ، وسوق الأوقاف الخيرية التي تشكل الحد الجنوبي لهذا الميدان

ومجمع سويقه التجاري الواقع شرق ساحة المصمك ومركز المعيقلية التجاري وسوق الديرة المطلان على ساحة الإمام محمد بن سعود من الشمال والجنوب على التوالي (شكل ٦) .

وبهذا تمثل ساحات منطقة الحكم نموذجاً مركباً من الساحات المستقلة التي تشكل مع المنشآت الأخرى في المنطقة وحدة تصميمية متكاملة ومتناسقة على مستوى التصميم والمواد المستخدمة وتكامل الأدوار الوظيفية والتخطيطية للمنطقة بوجه خاص وللمدينة بشكل عام .

هذا وتمتاز هذه الساحات بتكامل المرافق وفي مقدمتها عنصر الأمن والسلامة على مستوى الحركة والمرور وذلك بعزلهما عن حركة المركبات الكثيفة في المنطقة ، والحد من التلوث الضوضائي الذي تحدثه بالإضافة إلى توافر الأمن على مدار الساعة ومراعاة عناصر ومتطلبات السلامة خصوصاً للأطفال في كل أرجاء المشروع .

هذا ويلاحظ بساطة التصميم في عناصر الساحات وخلوها من التكوينات المعقدة وكثافة المحسنات الجمالية والزخرفية حيث تشكل الفراغات المسطحة السمة الغالبة ، كما روعي في وضع التكوينات الجمالية المائية عدم سيطرتها على معظم الساحة أو إعاقة المد البصري ولهذا تم وضعها في الأطراف ، وتتيح الفراغات المنبسطة الواسعة إمكانية القيام بأنشطة متنوعة على مستوى تنظيم الفعاليات أو على مستوى السلوك الفردي لمستخدمي الساحات في جميع الأوقات .

<u>ميدان العدل :</u>

يمثل هذا الميدان واسطة العقد لسلسلة الساحات المفتوحة التي تشكل عنصر الربط الرئيسي في المنطقة ، وهو الميدان الرئيسي لمدينة الرياض حيث تطل عليه العناصر العمرانية الرئيسية بالمنطقة مثل قصر الحكم وجامع الإمام تركي بن عبد الله إضافة إلى أنشطة إدارية أخرى وتجارية ومكتبية (شكل ٧) .

تبلغ مساحة الميدان ١٤ ألف متر مربع بأبعاد تتناسب مع إرتفاعات المباني المطلة عليه وتحده من جهة الشمال مكاتب إدارية تحتها محلات تجارية وتحده من جهة الجنوب أسواق الأوقاف الخيرية أما الحد الشرقي للميدان فتشكله أروقه مظللة تحتها محلات تجارية وتتناثر في أطراف الميدان أشجار النخيل متتبعة إتجاهات حركة المشاة الرئيسية التي تنطلق من الميدان وتصب إليه .

ويشكل هذا الميدان إمتداداً لجامع الإمام تركي بن عبد الله ونقطة إلتقاء لممرات المشاة التي تتخلل منطقة قصر الحكم ، كما أنه جُهز وهيئ لإقامة الاحتفالات والمناسبات الرسمية والشعبية ، وفي جنوب هذا الميدان برج الساعة الذي رمم واستبدلت ساعته وأبقي ليشير لمرحلة من مراحل نمو المدينة .

ويلاحظ أن تنوع النشاطات حول الساحة جعلها ذات جاذبية خاصة ولا يمكن للإنسان أن يشعر بالملل وهو يتنقل من مكان إلى آخر في الساحة ، بل هناك نوع من التشويق للحركة

والمتابعة في الفراغ ، كما أنه يعد ناجحاً من حيث وضوح الفكرة وتميز حركة المشاة بفصلها عن حركة السيارات وإتصال الفراغ بما حوله فهو جزء من النسيج العمراني ككل ، كما أن للفراغ قيمة كبيرة لإرتباطه بجامع الإمام تركي بن عبد الله الذي ظل يقوم بدور الجامع الكبير في المدينة لعقود طويلة ، ويتصل الجامع بقصر الحكم بجسرين على مستوى الدور الأول عبر ساحة الصفاة الواقعة بينهما محاكاة لما كان عليه الوضع في السابق وفي ذلك رمز لنهج الدولة في إرتباط الحاكم بالشرع الإسلامي الحنيف .

ساحة الصفاة :

تقع ساحة الصفاة بين جامع الإمام تركي بن عبد الله وقصر الحكم متصلة بميدان العدل من جهته الغربية وتفتح على هذه الساحة المدخل الملكي لقصر الحكم ، وعبرها يتصل قصر الحكم بجامع الإمام تركي بن عبد الله على مستوى الأرض وعن طريق جسرين على مستوى الدور الأول وقد غرست في هذه الساحة صفوف من أشجار النخيل .

وهي تعتبر الساحة الوحيدة ذات القيمة التراثية لكنها مع بقية الساحات الواقعة بين منشآت تراثية مهمة كالمصمك وقصر الحكم والجامع وبما تمتاز به من وحدة تصميمه تجسد القيمة الذاتية والرمزية للمنطقة وأهميتها التاريخية (شكل ٨) .

وتأتي ساحة الصفاة على شكل مستطيل وتبلغ مساحتها ٥٠٠٠ م ^{٢} .

ساحة المصمك :

تعتبر ساحة المصمك واحدة من أهم الساحات في منطقة قصر الحكم لما للمصمك من أهمية تاريخية كبيرة بالنسبة لمدينة الرياض ، وقد أقيمت هذه الساحة لإبراز الحصن بالشكل اللائق بمكانته التاريخية ، وتبلغ مساحة هذه الساحة ٤٥٠٠ متراً مربعاً تم غرس صفوف من أشجار النخيل في الجزء الجنوبي منها ، فيما غرست أشجار وشجيرات أخرى في بقية أجزاء الساحة فيما عدا الجهة الشرقية من الساحة التي زينت بنسيق صحراوي من الصخور التي تنتهي بمدرجات مرتفعة على سطح الأرض للجلوس عليها وفي نفس الوقت لحماية الحصن ، ويتخلل الساحة ممرات تم رصفها بحجر الرياض .

والساحة مهيئة لإقامة أنشطة الفنون الشعبية والتراثية فيها وقد تم إعادة بناء المسجد المجاور لحصن المصمك على النمط العمراني التقليدي لمنطقة الرياض (شكل ٩) .

ساحة الإمام محمد بن سعود :

أحد الساحات الهامة أيضاً في منطقة قصر الحكم وتبلغ مساحتها نفس مساحة ساحة العدل إذ تبلغ أربعة عشر ألف متراً مربعاً .

تنتهي بهذه الساحة من جهة الغرب سلسلة الميادين والساحات العامة المفتوحة الموصولة التي تمثل عنصر الربط الرئيسي للعناصر العمرانية في منطقة قصر الحكم وتضفي على تخطيطها نمطاً عمرانياً متميزاً .

وقد تم غرس الساحة بمجموعة متنوعة من الأشجار والشجيرات كما تم تجهيزها بأماكن مظللة للجلوس ونوافير المياه (شكل ١٠) ، يطل على الساحة من جهتها الشرقية قصر الحكم ومن جهتها الجنوبية أمانة مدينة الرياض ومن الجهة الشمالية مركز العيقلية التجاري .

لقد تبين من هذا الاستعراض لبعض الساحات الحديثة في منطقة قصر الحكم أن العناصر المحددة لساحات قصر الحكم تتكون من مجموعة متكاملة تمنح في مجملها الخصوصية الكافية لهذه الساحات حيث حوائط المباني المحيطة بالساحات والتي جاءت في مستويات متقاربة ، وتشكل هذه الساحات ميادين مركزية للمدينة على غرار الساحات والميادين المركزية في المدن التاريخية والحديثة وتظهر هذه الصفة بشكل خاص في ميدان العدل .

وتشكل هذه الساحات ملتقاً إجتماعياً ترويحياً لسكان المنطقة وحتى سكان المدينة بشكل عام ، وتساهم بشكل فعال في إحياء التفاعل الإيجابي وإبراز المظاهر الإنسانية التي بدأت تتلاشى في المنطقة بسبب طغيان الأنشطة التجارية في المنطقة .

إلى جانب ذلك فإن هذه الساحات تقدم بيئة حديثة متكاملة المرافق لإقامة برامج تنشيطية وإجتماعية وثقافية وتراثية وتجارية وتعقد فيها وبشكل دوري الاحتفالات الهامة وإلى جانب ذلك فإنها تسّهل حركة المشاة في المنطقة وتختصر مسافات السير .

ولا شك أن هذه الساحات جاءت لتلبي رغبات وتطلعات الإنسان المعاصر ، ورغم أنها جاءت إلى حد كبير ذات مساحات أكبر من الساحات القديمة إلا أنها أيضاً جاءت متوافقة إلى حد كبير مع الظروف البيئية الموجودة حيث تم إستخدام عناصر الأشجار سواء النخيل أو الأشجار والشجيرات لتوفير الظلال في الساحة ، كما استخدم عنصر المياه في النوافير التي تم توزيعها على الساحات للتقليل من الجفاف الذي تتميز به هذه البيئة كما أن الأروقة المغطاة التي تتواجد أمام المحلات المحيطة ببعض الساحات كانت أيضاً إستجابة لهذا المتطلب البيئي .

ويلاحظ في جميع الفراغات الحديثة التي تم عرضها توفر الوحدة المعمارية من تشابه المباني المحيطة غالباً بالساحات من الناحية التعبيرية حيث أنها تنتمي إلى بيئة معمارية واحدة متناسقة في ألوانها وفتحاتها ، كما أن جمال النسب المعمارية في أبعاد الفراغ نفسه فضلاً عن جمال النسب للمباني المحيطة وتوافقها مع المقياس الإنساني أوجد نوعاً من التناغم البصري في العلاقات بين كتل المباني المحيطة والمساحات المفتوحة .

الخلاصة :

لقد أستعرض البحث بشيء من الإيجاز البيئة الصحراوية لمنطقة الرياض بخصائصها المميزة وبين البحث أن هذه البيئة كان له دور في تشكيل البيئة العمرانية لمدينة الرياض التي جاءت في شكل كتل متراصة من المباني يفصل بينها مجموعة من الطرقات التي تضيق وتتسع طبقاً للحاجة مما ساهم في تحديد لعناصر الفراغات العامة بينها والتي تمثلت في الشوارع والحارات الضيقة وأحواش وساحات عامة محدودة المساحة .

وقد أستعرض البحث أيضاً بعض الفراغات في مدينة الرياض القديمة مثل الصفاة والسوق (الحراج) والمقيبرة ، وبين أنه رغم مساحتها الصغيرة نسبياً مقارنة بالساحات في المدن الحديثة إلا أنها كانت تستوعب نشاطات السكان الإجتماعية والدينية والتجارية بشكل كبير إضافة إلى الدور السياسي الذي كان لساحة الصفاة حيث كان محطة للوفود القادمة على الملك عبد العزيز من خارج الرياض وداخلها الذين كانوا ينتظرون قدومه أو خروجه من قصر الحكم .

وقد أظهر البحث أن هذه الساحات جاءت متلائمة إلى حد كبير مع الظروف البيئية لمدينة الرياض مما جعلها كانت تموج بالحركة والنشاط في جميع الأوقات .

كما أستعرض البحث بعض الفراغات الحديثة في مدينة الرياض في منطقة قصر الحكم حيث بيّن البحث أن المصمم حرص في عملية التصميم على الحفاظ على النمط العمراني التقليدي وذلك بتأكيد العلاقة بين المباني والميادين والساحات العامة ، فميدان العدل هو الميدان الرئيسي للمدينة تحيط به المباني الرئيسية مثل قصر الحكم وجامع الإمام تركي بن عبد الله وتتصل بهذا الميدان ساحة المصمك وساحة الصفاة ثم ساحة الإمام محمد بن سعود .

كما أظهر البحث أن هذه الساحات الجديدة تعتبر نموذجاً مركباً من الساحات المستقلة التي تشكل مع المنشآت الأخرى في المنطقة وحدة تصميم متكاملة ومتناسقة على مستوى التصميم والمواد المستخدمة وتكامل الأدوار الوظيفية والتخطيطية للمنطقة بوجه خاص وللمدينة بشكل عام .

كما بيّن البحث أن تصميم هذه الساحات غلبت عليه البساطة في التصميم والخلو من التكوينات المعقدة وكثافة المحسنات الجمالية والزخرفية والتي جاءت متكاملة مع الساحات بصورة تلقائية ، ولا شك أن المصمم نجح إلى حد كبير في تصميم هذه الساحات لتكون في مجموعها وحدة متكاملة ومتناسقة تغلب عليها الوحدة التصميمة التي فرضتها مواد البناء ووحدة التعبير وتناسق النسب المعمارية وتوحيد الإرتفاعات غالباً .

توصيات :

يوصي الباحث بعدة أمور يرى أنها ضرورية في تصميم الساحات الخارجية وخاصة في مثل هذه البيئة الصحراوية .

- توفير عنصر النباتات والمياه في الفراغات الخارجية لتوفير قدر من الحماية من حرارة الشمس أثناء فترات النهار والتقليل من الجفاف الذي تتميز به هذه البيئة إضافة إلى كونها عناصر جمال يمكن أن تساهم في تحقيق القيم الجمالية للفراغ .
- عدم المبالغة في المساحات لهذه الفراغات قدر الإمكان تمشياً مع الظروف البيئية وتقليلاً من مسافات السير ..
- ضرورة التوازن في الإرتفاعات وتحقيق العلاقات المناسبة بين إرتفاعات المباني وأبعاد الساحات وهو ما يعني مراعاة النسب المعمارية الملائمة لتحقيق الوحدة المعمارية .
- لنجاح الفراغ الخارجي لا بد من وضوح الفكرة وبساطتها والبعد عن التعقيد حتى يسهل إدارك الفراغ وإستيعابه بصورة جيدة .

المراجع :

١. البناء ، مجلة سعودية معمارية متخصصة العدد السابع عشر والثامن عشر .
٢. البيئة ، التجربة المعمارية مخططون ومعماريون ومهندسون ، الحصيني والشعيبي ، تضامنيه ١٩٨٩م ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
٣. البس ، د. عبد الحميد ، سراج ، محمد السيد ، الفراغات العامة في النسيج الحضري للمدينة الإسلامية القديمة ، مجلة جمعية المهندسين المصرية ١٩٩١م .
٤. البس ، د. عبد الحميد ، الفراغات الخارجية وأهميتها للنسيج الحضري ، المؤتمر العلمي الدولي الثالث بكلية الهندسة ، جامعة الأزهر ، ١٩٩٣م .
٥. الحصين ، محمد عبد الرحمن ، البيئة العمرانية لمدينة الرياض في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي ، الرياض ، ١٤١٧هـ .
٦. تطوير ، نشره دورية متخصصة تصدرها الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض ، العدد ٢٢- ١٤٢٢هـ .
٧. برنامج تطوير منطقة قصر الحكم المرحلة الثانية ، رمضان ١٤١٢هـ ، كتيب عن تطوير منطقة قصر الحكم أصدرته الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض .

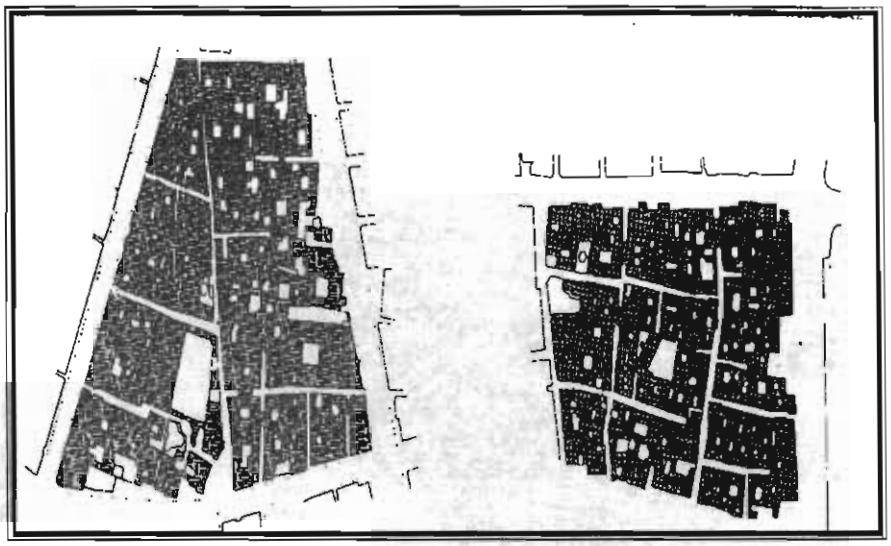

(شكل ١) النسيج المتضام لمدينة الرياض والذي ساهمت
في وجود الظروف المناخية حيث تتلاصق المباني
وتقل فيه الشوارع والحارات

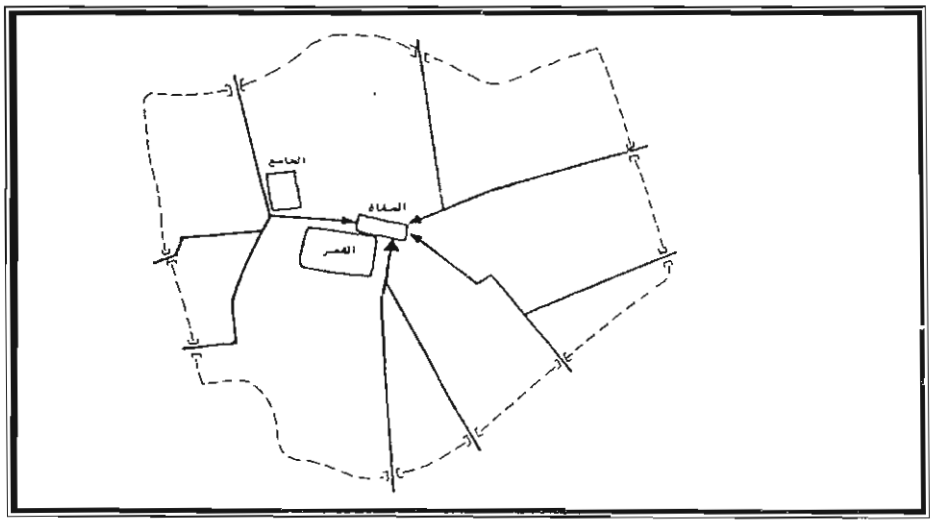

(شكل ٢) الكتلة العمرانية لمدينة الرياض القديمة حيث
تظهر الطرقات التي تقسم المدينة إلى مجموعة من
الأحياء السكنية كما أنها تلتقي في ساحة الصفاة
التي تحيط بها مبنى القصر والجامع الكبير .

(شكل ٣) يوضح هذا الشكل كتل المباني المتلاصقة والشوارع والطرقات المتعرجة والفراغات المفتوحة والكتل المصممة .

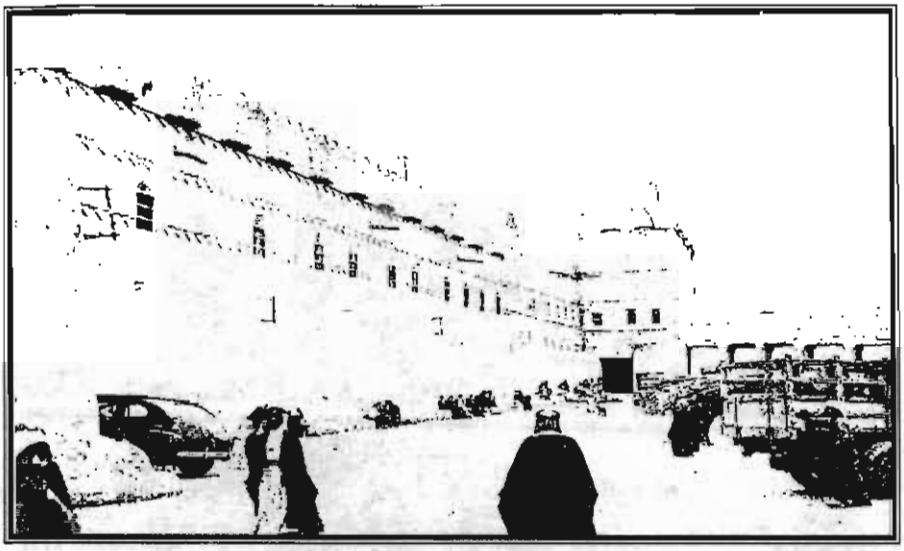

الصفاة في الأيام العارية

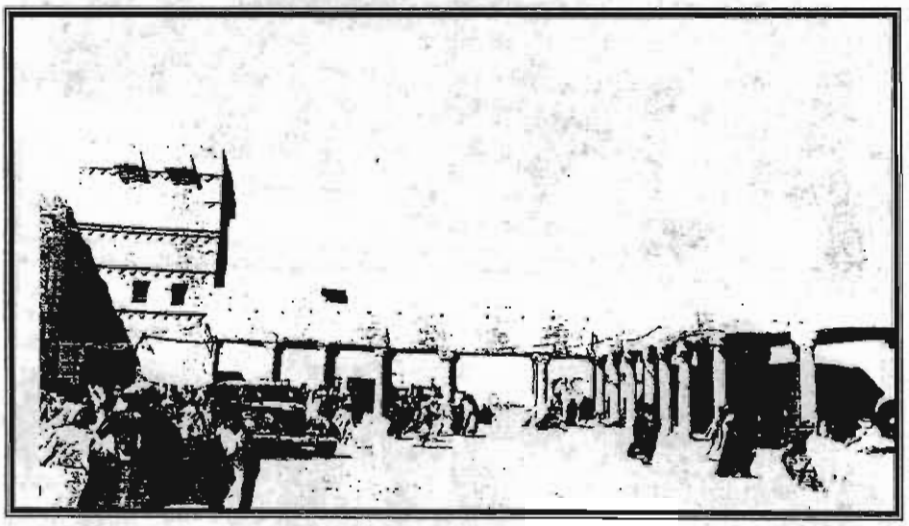

(شكل ٤) الصفاة في أحد الإحتفالات الرسمية

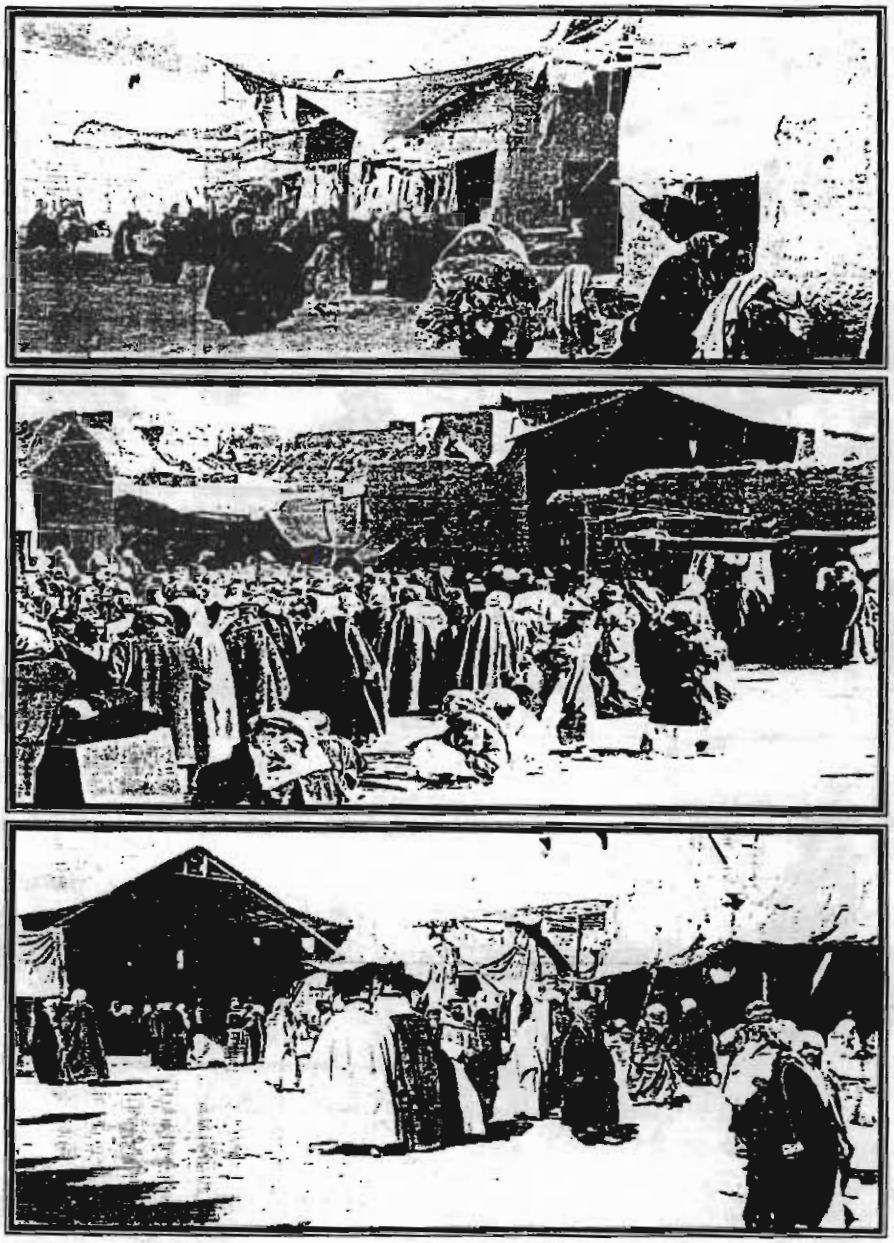

(شكل ٥) مجموعة من الصور تمثل الأسواق القديمة في مدينة الرياض القديمة والتي كانت تموج بالحركة طوال اليوم .

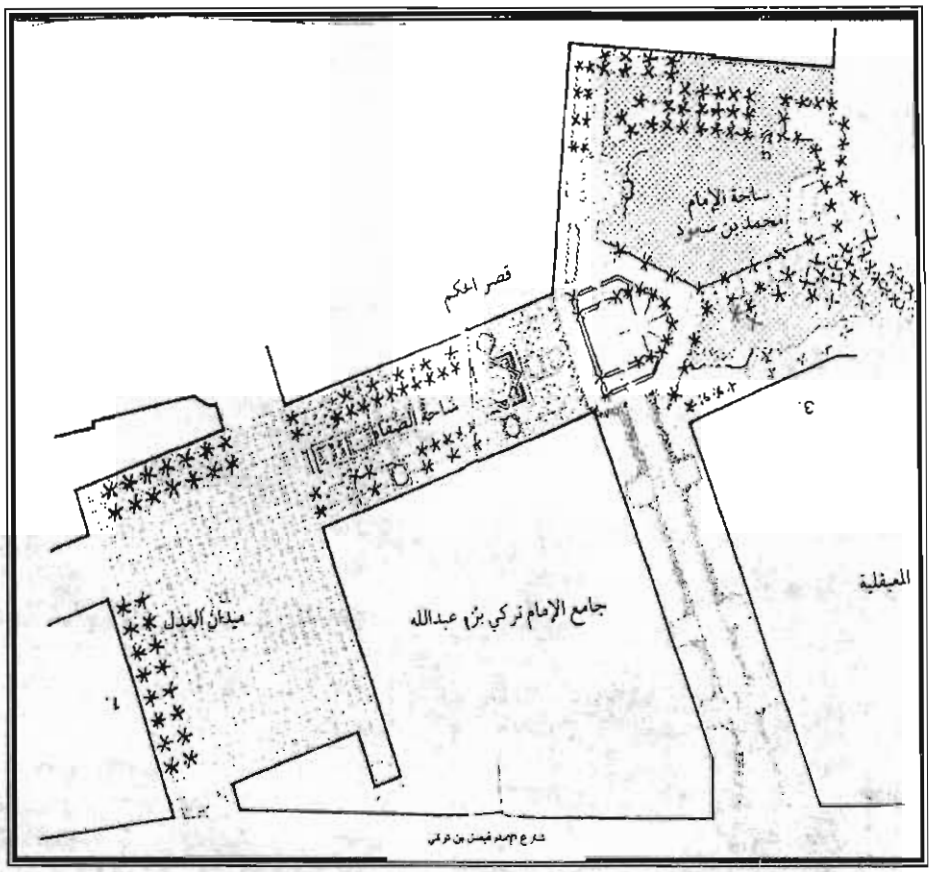

(شكل ٦) يوضح الساحات الخارجية في منطقة قصر الحكم
وإرتباطها بمباني هامة في المنطقة .

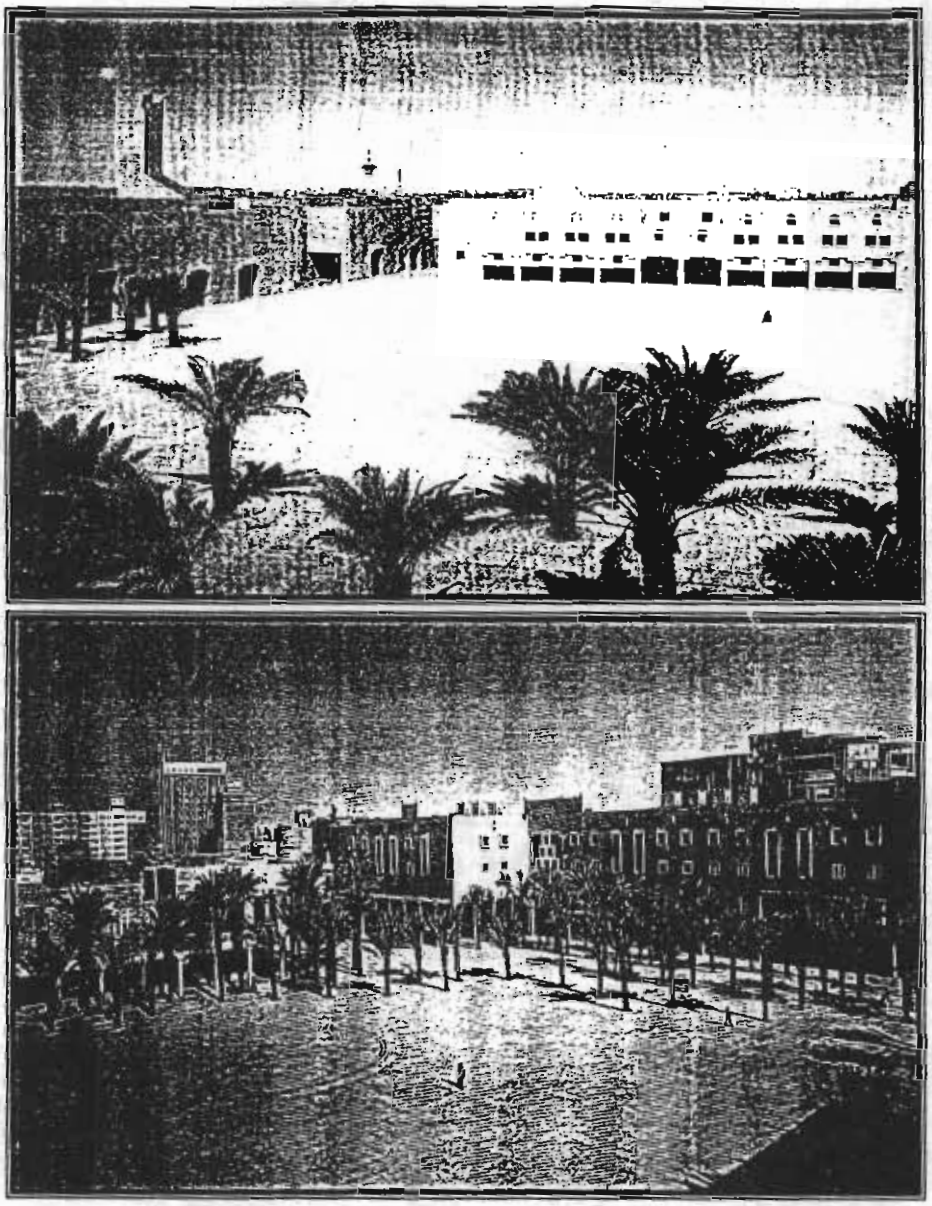

(شكل ٧) الميدان الرئيسي في منطقة قصر الحكم حيث تطل عليه
العناصر العمرانية الرئيسية بالمنطقة مثل قصر الحكم
وجامع الإمام تركي إضافة إلى أنشطة إدارية وتجارية ومكتبية .

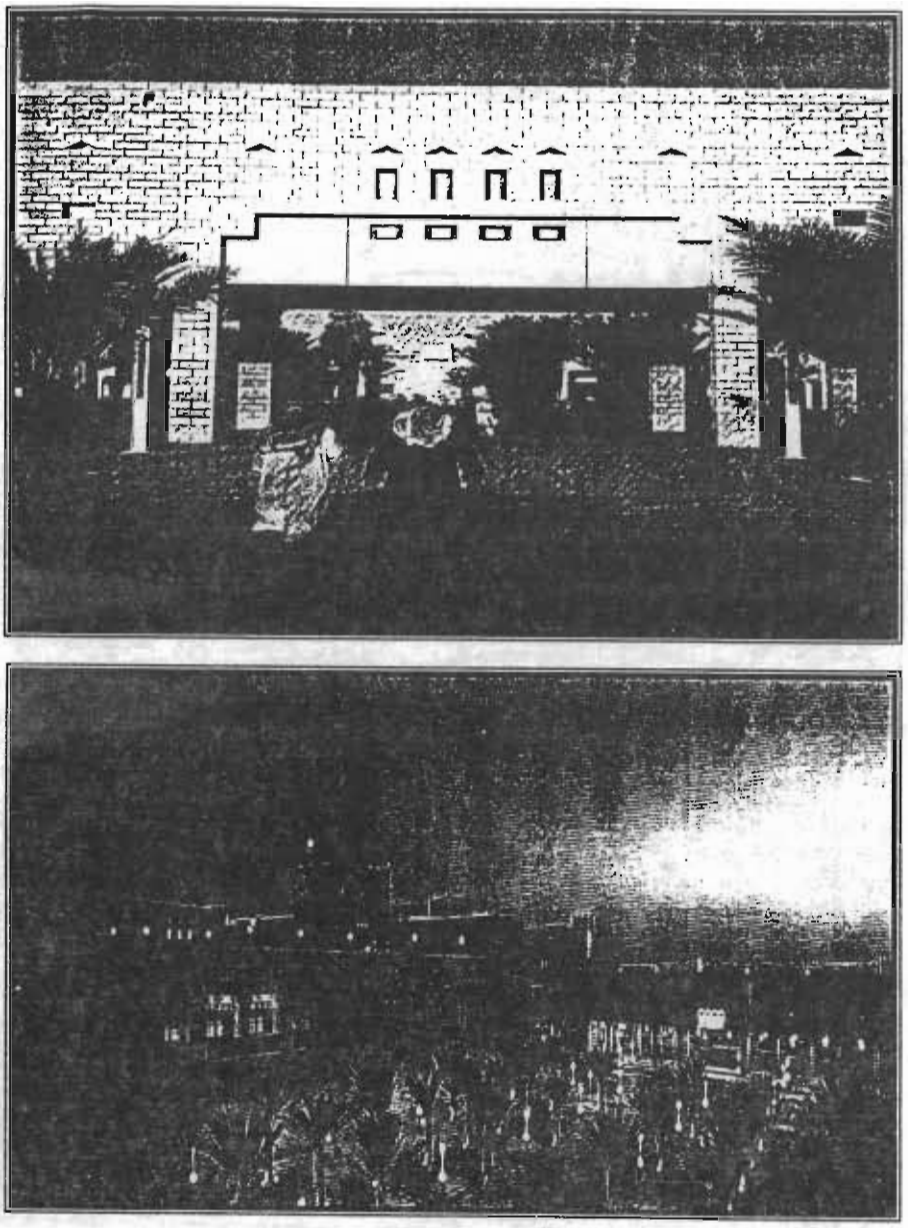

(شكل ٨) ساحة الصفاة أحد الساحات المميزة في منطقة قصر الحكم
لما لها من قيمة تراثية وتاريخية هامة .

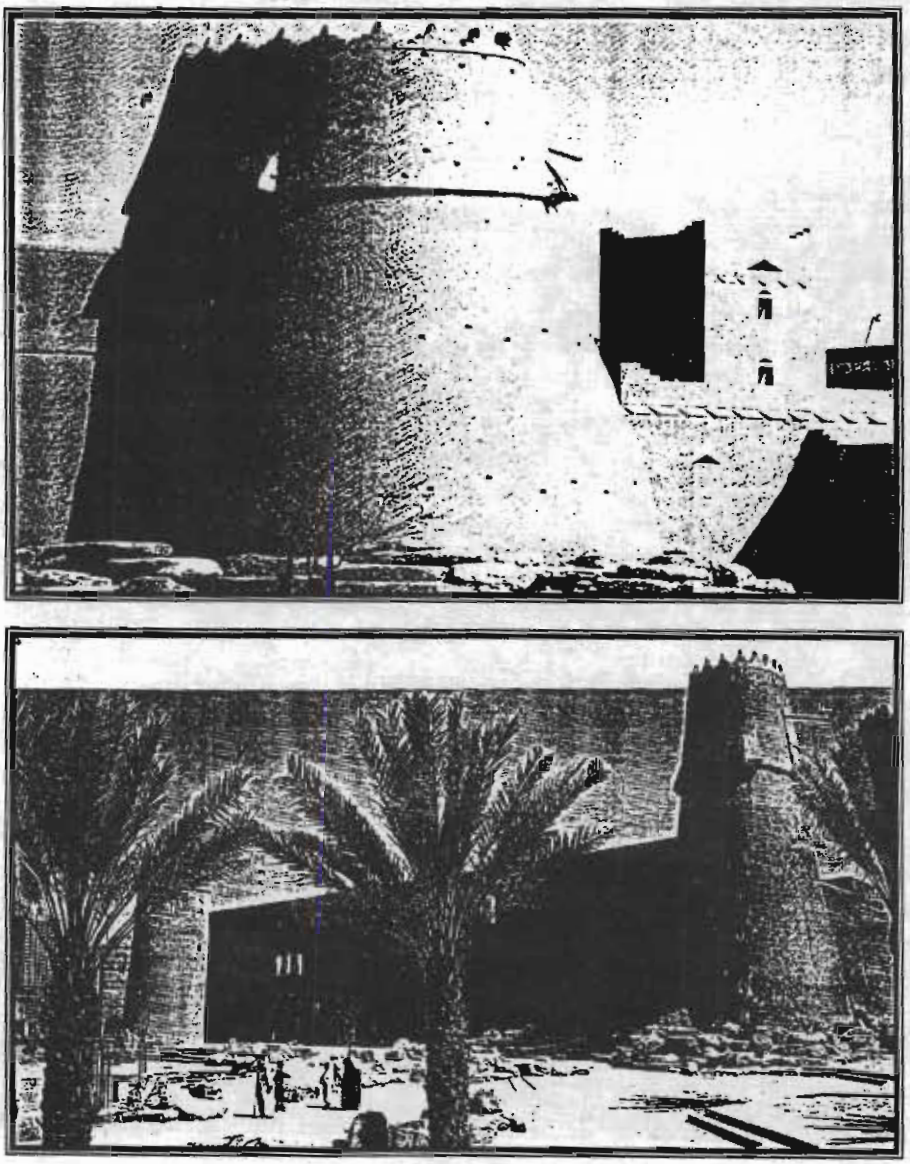

(شكل ٩) ساحة المصمك ذات القيمة التاريخية الكبيرة وقد غرست بأشجار النخيل
وزينت أرضها بأحجار الرياض ، ويبدو المسجد القديم الذي تم
إعادة بناؤه على النمط التقليدي لعمارة المنطقة .

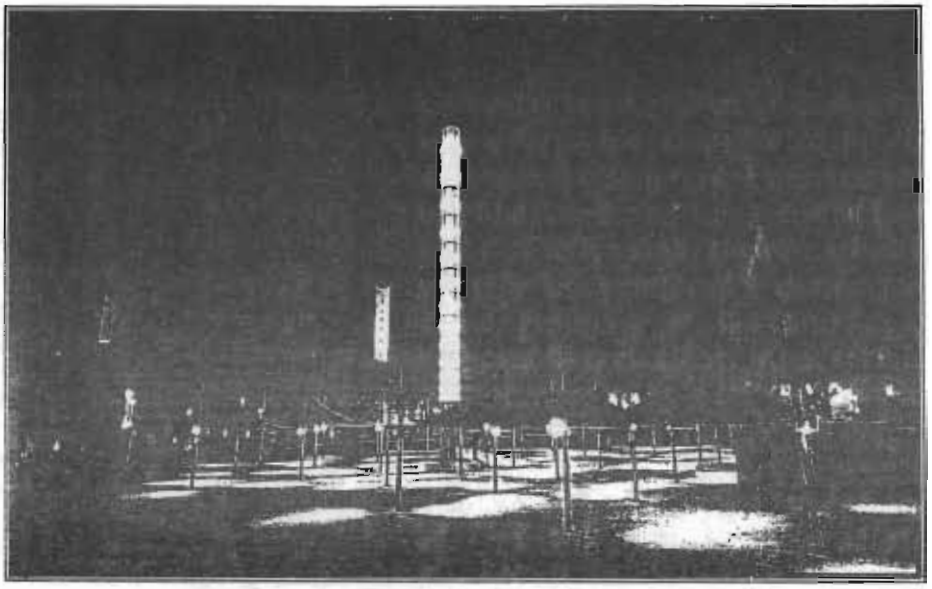

(شكل ١٠) ساحة الإمام محمد بن سعود
ويظهر فيها أماكن الجلوس المظللة .